المشرق

يعقوب السروجي

لحضرة الخوري الفاضل بطرس عزيز الكلداني النائب البطريركي في حلب

قد احرزت آداب اللغة الارامية اي السريانية الكلدانية كتاباً جديداً جليلاً بهمة الاب الغيور المفضال الاب برلس بيجان الماردلي الكلداني وهو منتخبات ميامر يعقوب السروجي (١)

وقبل ان نعرّف به قرّاء المشرق لا نتمالك من انتهاز الفرصة للثناء على الاب المذكور الذي منذ عشرين سنة بنيّف لم يزل يغني مكاتبنا بمثل هذه التآليف النفيسة التي يحيي بها آثار آبائنا الدارسة ويبرزها من زوايا المتاحف الاوروبية بعناء ونصب كادا مراراً كثيرةً ان يذهبا بصحته وبصره . فلو اردنا ان نذكر اسماء الكتب التي نشرها حتى الآن لطال بنا المقام وهي بين صغير وكبير ما ينيف على الخمسة والثلاثين كتاباً قصد بها اثابهُ الله فائدة ابني جلدته في العلم والآداب والدين . وقد سبق لنا في المشرق الاغرّ ذكر بعض من هذه الكتب واليوم مدارُ كلامنا على آخر كتاب نشرهُ في مجلدين واودعهُ من قلم ذاك الشاعر المفلق ما رآه مطابقاً لغايته فجاء محتويًا على سبعين ميمرًا نُشرت لاوّل مرّة . بهذا ما خلا التسعة عشر ميمرًا التي كان قد نشرها في كتبه السابقة

ولد يعقوب في قرطام بلدة على الفرات من اعمال سروج سنة ٤٥١ للميلاد وبعد

---

(١) وهذا عنوانهُ باللاتينيّة : Homiliæ selectæ Mar-Jacobi Sarugensis, edidit : Paulus Bedjan Cong. Miss. Lazarista. T. I et II. Parisiis: via dicta de Sèvres

ان تلقَّن الدروس في مكتب الرها الشهير سُتي خورفسقفاً على حورا في ابرشية سروج. وفي الثامنة والستين من عمره سنة ٥١٩ رُسم اسقفاً على هذه الابرشيَّة وكان كرسيها الاسقفي في بطنان ولم يلبث في الاسقفية غير سنتين ومات سنة ٥٢١ وقد ابقى لنا القدماء ثلاث تراجم لهذا الكاتب منها واحدة بقلم يعقوب الرهاوي

درس يعقوب في الرها على ايبيا الشهير في تاريخ النسطرة لكنهُ لم يوافقهُ في بدعته حتى اننا نراه في حياته كلها يحارب اصحاب الطبيعتين

اختلف العلماء في مذهب يعقوب فمنهم من اثبت كثلكتهُ كالعلَّامة السمعاني بين القدماء وآبلوس (Abbeloos) بين المعاصرين اما اليوم فقد تحقق انهُ كان يقول بالطبيعة الواحدة مخالفاً للمجمع الخلقيدوني ولا احد يشكّ بعد في صحة قول ابن العبري ان ساويرس الانطاكي اليعقوبي استحسن تعليم يعقوب وأيدهُ . الَّا انك لا تكاد تستنتج ذلك من مياميرهِ لانهُ ما عدا ميمرهُ في دحض المجمع الخلقيدوني الذي ثبت اليوم انهُ من قلمهِ لم يصرّح برأيهِ البتة وهذا الذي اوقع الريب في الحامين عن كثلكتهِ ولكن بعد اكتشاف مراسلته مع رهبان دير مار باسوس الهراطقة توضح انهُ كان مصادقاً على دستور الملك زينون المدعو بالهينوتيك (Hénotique) وانهُ كان يقول بالطبيعة الواحدة. وكان يعقوب في عدد الاساقفة الذين رسموا يوحنا اسقف تلَّا الشهير في تعصبهِ في اليعقوبية في عهد يوستين الملك فان كان لم يُضطهد كاقرانهِ فيلوكسين اسقف منبج وبولس اسقف الرها فما ذاك الَّا لان يعقوب قضى حياتهُ في الدرس بعيداً عن المجادلات والمنازعات التي كانت يومئذٍ تشغل المسيحيين الشرقيين الَّا انهُ كان يكتب ويعزّي المنكوبين بسبب المنوفيسيتيَّة وينهض شجاعتهم للمحاماة عن هذا المذهب كما صنع مع بولس اسقف الرها الذي نفي الى ساوقية وغيره

ترك يعقوب مؤلَّفات كثيرة في الشعر والنثر اما في النثر فلهُ رسائل عديدة وقد سبق لنا ذكر رسائله اللاهوتية الى رهبان دير مار باسوس التي نشرها الاب مارتان (P. Martin) ونشر شروتر (Schröter) رسالةً اخرى موجهة الى المسيحيين في نجران يعزّيهم فيها عن المحن التي اصابتهم على يد ذي نؤاس ونشر الاب بيجان رسالةً لهُ الى اهل ارزون في بلاد فارس يدحض فيها النسطرة (١ ولهُ رسائل الى اهل الرها

١) طالع كتاب سهدونا وجه ٦٠٥

والى بولس اسقف هذه المدينة واخرى الى اسطيفان دوديلي وغير هذه كثير لم يُنشر بعد بالطبع — ثانياً له ليتورجية ورتبة عماد وستة خطاب في الاعياد ومواعظ على الخطايا وعلى الجمعة من الاسبوع الثالث للصوم وعلى الفصح وتآبين وسيرة حياة مار حنّينا

غير ان يعقوب اشتهر على الاخص بالشعر والحق يقال انهُ جاد فيه ونبغ وشعره سلس ولهُ تفننات مبتكرة وتصورات بديعة وعواطف تأخذ بمجامع القلب مع مسحة تقوى تؤثر في القاري وتحملهُ على الزهد والتنسك بخوف الله وشعائر الدين ويحق لقبهُ قدماء بني ملّتهِ بزمار الروح القدس وقيثار الكنيسة هذا فضلاً عن طلاوة انشائهِ وفصاحة لغتهِ

ذكر ابن العبري ان ميامر يعقوب الشعرية كانت سبعمائة وسبعين وان سبعين ناسخًا كانوا ينسخونها. لكن لسوء الحظ لم يصل الينا الا دون النصف منها. فمن هذا قد انتخب الاب بيجان الميامر التي اتحفنا بها وموضوعها اسرار الديانة وشرح آيات خصوصية وحوادث من الكتاب المقدس وبعض الفضائل والرذائل ومديح المسيح وامهِ العذراء والرسل والشهداء والقديسين وعن الموتى والدينونة وتخص بالذكر ميمرهُ الطويل الفاخر في آلام المسيح الذي يستغرق ١٦٠ صحيفة وهو مقسّم لكل يوم من ايام اسبوع الآلام وفيهِ من بديع المعاني ما يذهل القاري

وما يستحق الذكر في هذه الميامر فهو انك تجد هذا الكاتب المبرّز والشاعر المفلق في نهاية الجيل الخامس وابتداء السادس يثبت عين التعليم والاعتقاد والآداب والتقوى والتهذيب الذي يُشاهد اليوم في الكنيسة الرومانيّة ما خلا مذهبهُ في الطبيعة الواحدة. من ذلك الصلوة عن الموتى وتقديم القرابين والاسمافات لاجلهم واكرام ذخائر الشهداء وحضور المسيح في الافخارستيا والاستحالة وذبيحة القداس والمناولة الفصحية وبثّ الروح القدس من الآب والابن وزناسة الرسول بطرس وامتيازاته

وقبل ان نأتي الى ذكر ذلك لا بدَّ ان نورد نموذجاً على طلاوة شعرهِ ونحن نتأسف على ان الترجمة العربية لا تؤدي حق العبارة الاصلية ولا تفي بالمرام

قال في ميمرهِ على الشهداء (المجلد ٢ وجه ٦٣٨) : « النار تفحص الذهب ان كان صافياً والموت بالعذاب يمتحن الحب اذا كان مخلصاً. فان لم يدخل الذهب النار ويذوب لا يتصور فيهِ شكل الملك وان لم يقترب الانسان الى العذاب حتى الدم لا

يتصور فيه شكل الحب الالهي . فلكم يُطرّق الذهب على السندان حتى يُحلّى به التاج فعلى هذا الذوق لبس الشهداء بالضربات رونقاً وهم الآن مُرتصعون بتاج الملك. لم يكن لهم المضطهدون الّا صاغة ماهرين صاغوهم بالآلام وصدوهم في الملكوت» . وبعد ان ذكر انهم كانوا يحتملون بدون تذمر قال : «من شأن الحب ان لا يتشكى اذا احتُقر فانهُ مكتوب انهُ يحتمل كل شيء ويصبر على كل شيء . ان عقود الحياة الذي عصرهُ اليهود بالرمح اسكر بخمرهِ الشهداء فنسوا ضيقاتهم. شربوا ملياً من مسكر الصليب فلم يشعروا بالنار . تعلموا من ربهم ان يتشبهوا بالحية والحمام . الحمام وديع فلا يحتد على من يسلبهُ فراخهُ بل يقيم مكانهُ بين ظهراني سالبيهِ بلا غضب . والشهداء تُسلب اموالهم وهم ممتلئون سلاماً بيت الحكام اولادهم ولا يتشكون . تشبهوا بالحية عند ما ساقوهم الى الذبح فان الحية فطنة اذا اوشك ان يُمسك ذنبها اخفت رأسها واسلمت سائر جسمها للضرب . رأس النفس هو الايمان وعليهِ كان يحافظ الشهداء فيسلمون اعضاءهم للضرب والقطع صوناً للايمان. اذا فسد الايمان فقدت الحياة . كان يشعر الشهداء بحياة الآخرة فلا يشق عليهم ان يبذلوا حياتهم في وسط العذاب نظروا خفياً الى تلك الحياة السعيدة فكرهوا حياة الدنيا وملذاتها ومن احتمالهم تعلّمت الارض ان لله عالماً آخر اعظم من هذا. احتملوا بين الوثنيين حتى علم الوثنيون انهُ يوجد شيء خفي لم يحسّوا بهِ واخذوا يفكرون في انهُ لو لم يوجد عالم آخر لما ازدرى الناس بحياتهم . فكأني بهم يقولون : من هو هذا يسوع الذي من اجلهِ يموتون ولماذا ينتخرون باسمهِ وهم يُقتلون . كيف يعترفون بهِ حتى الدم ويحتملون العذاب ولا ينكرونهُ . تراهم يقرّون انهُ صُلب وكيف لا يخجلون ان يسجدوا لهُ فان كان انساناً مثخناً آلاماً فما بالهم يعبدونهُ وان كان ليس حيّاً كيف يموتون من اجلهِ . فياللقوة العظمى ان الذي صلبهُ اليهود يسبي بحبهِ البشر فينحازون اليهِ فحتماً اما انهُ اله او ابن الله وفيهِ قوة تدفع البشر الى الايمان بهِ . هذا ما كان يقوله الوثنيون اذ يرون احتمال الشهداء ولهذا دعوهم شهداء الصليب. ومن آلامهم تحقق العالم صحة الدين المسيحي . كبروا ايمان ابن الله بدمهم وبموتهم اضحوا معلمي الحق »

وفي الميمر على العناية وجه ٦٢٧ قال : «تحتاج الخليقة الى الخالق كما يحتاج الطفل الى امهِ فلو تركتهُ امهُ فكان اولى بها ان لا تلدهُ . وربّ العالم اذا تركهُ بعد ان

خلقهُ لكان احرى به ان لا يخلقهُ . » ثم يذكر كيف انهُ تعالى يدبّر العالم بجوده وعدله : « حيث يرى الشر يضحي غيوراً وحيث يرى تواضعاً صار حليماً . لو لم يبغض الاشرار لم يكن عادلاً وان لم يترحّم على الابرار لا يكون حليماً . ربما رأى الشر وصبر كأنهُ لم يره بل نجيه ولم يقاصه وربما رأى الشر وحالاً ايقظ غضبه . من الناس من يقضي حياته بالخطأ ولا يصيبه تأديب وغيره اذا افتكر فقط ان يصنع الشر ادركته العدالة . في مكان يظلم عبيده ولا يخلصهم وفي مكان آخر اذا احتُقر احد من الابرار انتقم لهُ . حور الصديق رجمهُ الشعب صانع العجل ولم يسأل احد لماذا رُجم ومريم اخت موسى على انها تلفّظت بكلمة لبسها البرص . نُشر اشعيا ولم ينتقم لهُ ربه وحيث رُذل لوط الصديق احرق بلادهُ . فتارةً ينتقم وطوراً يهمل فرب مشكك يسأل لماذا سير العناية ليس واحداً : ايها الطين لماذا تتجاسر ان تقول للفاخوري ماذا يجب ان يعمل وماذا يجب ان لا يعمل ؟ » فيجاوب على ذلك الاعتراض : « ان حكمة الله ظاهرة في المخلوقات فبهذه المعرفة التي صاغت الشمس وكوّنت القمر يدبّر العالم فسواء انتقم او اهمل فهي حكمة منهُ والغاية واحدة وهي افادة الانسان . فقد يهمل هنا الانتقام ليُعرّف ان لهُ عالماً آخر ينتقم فيهِ من الاشرار فلو بقيت جميع الاعمال بلا انتقام مَن يتحقق ان الله يحاسب ؟ ولو حُوسب على كل عمل يُصنع هنا لكان يُظن انهُ لا يوجد عالم آخر . . . ولو كان الله يخلّص جميع عبيده من الاذى لما استحقت محبتهم المديح فلا يبقى سبيل للاحتمال من اجلهِ وهذا مما يخلّ بمجد عبيده ولو لم يخلّص احداً منهم لقال الكفرة انهُ لا وجود لهُ والّا لمَا اهمل احباءه . فحيث يتركهم يحترقون يعظم حبهم وحيث ينتقم لهم ينتصر هو وهكذا يتمجّد هو وعبيده . تعترض ايضاً على الغنى والفقر ولو امكنك لاخذتَ من هذا واعطيتَ لذاك اذ تقول : لماذا جاد الله على الواحد بالذهب والآخر خالٍ من القوت اليومي ؟ . يا ناقص العقل يا من خفي عنهُ التدبير لا تتذمر على من هو الجودة بالذات الذي خلق الغنى والفقر بالاثنين يقدر ان يحيي من يصبر . هوذا بالفقر العازر في حضن ابراهيم وبالغنى ابراهيم في الملكوت فالاثنان في محل واحد جليل لم يُبطر الغنى ابراهيم حتى يميله الى الشر ولا ذاك عاقهُ فقرهُ عن الخير . كما ان اليد اليمنى واليسرى تنفعان الجسد الواحد وتتعاونان هكذا الغني والفقير في العالم . خلق الغني ليترحّم ويعتني بالمساكين وخلق الفقير ليشتغل بلا تذمُّر في بيت الغني ولولا الفقر

لما باع بنفسهِ واشتغل . . . فلا يتكبَّر الغني ويحسب الفقير من غير جنسهِ بل هو من طينهِ ولحمهِ ودمهِ وعضو من جسدهِ فمن يرى اعضاءهُ عارية ولا يكسوها ؟ . . ولا تحسبنَّ ايها الغني ان الله احبك فاغناك وذاك ابغضه فخلقهُ فقيرًا نعم اعطاك ثروةً لكن لم يخلق لك عضوًا زائدًا . فما هو خارج عنك ليس لك . . . الله عادل ساوى البشر بالاعضاء والصورة في الرحم وفي القبر بالولادة والموت فلا تميز بينهم . ساواهم في ما هو ضروري واما بالاعراض فزاد لهذا ونقّص من ذاك . يحسد الجاهل الغني على ان فراشه عالٍ ومزين ولا يفطن ان الله وزّع النوم بالعدل ليس الفراش يريح الجسم بل النوم وهذا اعطاه للغني والفقير بل اعطاه للفقير اكثر فان ثروة الغني تذهب بنومهِ ولا يقوم الفراش مقام النوم . ينام الفقير وان كان فراشه بسيطًا ولا ينام الغني مهما كان فراشه ثمينًا . ليعلم الغني ان الله اقامه قهرمانًا لفقيرهِ وسيعطي حسابًا كيف وزّع امواله لوفاقه فان لم يَرحم لن يُرحم هناك . ويشهد بذلك قول ابراهيم فاذا تمتع وحده بخيراتهِ فلسوف يطلب نقطة ماء ولا يُعطى . . . ارحم ابن جنسك لانهُ اخوك والَّا فاحترم على الاقل صورة ربك فيهِ ووقّر شخص المسيح فقد لبسه واياك في المعمودية »

ناتي الآن الى الشواهد اللاهوتية . في ميمرهِ على اليشاع وجه ٨١ المجلد ٢ قال : « ان الكنيسة بحكمة تكرم عظام القديسين اذ تعلم ان اجسادهم هي آنية خدمة الملك وهيا كل تسكن فيها القداسة وتُخدم فيها الطهارة والايمان . هي حصون تخلص الشعب من اللصوص في زمان الحرب فهم المدينة المبنية على جبل عالٍ لا تزعزعها القوات المحيطة بها . تنبع من عظامهم الحياة بسخاء واذا احببتَ اثبات ذلك فاسمع : مات اليشاع الذي اقام ابن المرأة وبعد موتهِ ايضًا نبعت جثتهُ الحياة . ان النبي في موتهِ كان حيًّا وهكذا هو حيٌّ حتى انهُ اعطى غيره الحياة . » وقس على هذا شفاعة القديسين لا سيما العذراء مريم عليها السلام فقد تكلَّم مرارًا كثيرة عن قدرتها وشفاعتها وخصَّص ميمرًا كاملًا على دوام بتوليتها وشهد على براءتها من كل دنس . قال في ميمرهِ على مريم ام الله (١ : « لو وجد (المسيح) اجمل منها لما انتخبها فان الله لا ياخذ بالوجوه ولو وُجد في نفسها عيب او نقص لطلب لهُ امًّا اخرى لا عيب فيها » . وفي

(١) طالع كتاب سهدونا وجه ٦٢٣

ميمرهِ على ميلاد المسيح قال : (١ « هذا هو الابن الذي صوَّر امهُ في بطن امها وهو تصوَّر فيها جسديًا وصار منها . زيَّن امهُ بصورة ابيهِ حين خلقها وفي آخر الزمان جاء فتصوَّر فيها وصار منها . بالامس خلقها واليوم وُلد منها فانهُ اقدم واحدث من والدتهِ »

في ميمرهِ على الآلام وجه ٤٨٤ المجلد ٢ عند ما يصل الى العشاء السري يفتح كلامه قائلًا : « هنا العجب يتولَّى على نفس المتكلم فعلى العقل ان يضطرم بنار المحبة التي تفني الشك والريب وهكذا فلينظر الى ابن الله بالايمان الذي يقطع الهاويات فلا يكن كلامنا كلام من يفحص بل من يؤمن » — وبعد هذا الافتتاح الفخيم قال : « وزّع ربنا جسده على المائدة فمن يتجاسر والحالة هذه ان يقول انهُ ليس جسدًا ؟ هو قال : هذا هو جسدي فمن لا يصدّق بهِ ؛ فان لم يصدّق ليس تلميذ الرسل لان الرسل صدَّقوهُ واكلوهُ وهو حيٌّ ومتكئ معهم وعرفوا دون ارتياب انهُ مائت وحيٌّ في وقت واحد لانهُ ان لم يكن مائتًا لا يمكن ان يكون الخبز جسده وان لم يكن حيًا فلا يتأتَّى ان يوزّع جسده لرسلهِ . ان لم يكن مقتولًا فكيف اكلوه وان لم يكن حيًا فمن الذي قسم جسده هناك . فحقًا كان مقتولًا واكلوه وكان حيًا يتكلم مع تلاميذه . . . كسر الخبز وعملهُ جسدهُ واعطى تلاميذهُ فاستطعموا بجسد ذي حياة . منذ مسكهُ وسمّاهُ جسدهُ لم يبقَ خبزًا بل جسدهُ . واياه كانوا يأكلون وهم متعجبون . يأكلون جسدهُ وهو متكئ معهم على المائدة ويشربون دمهُ ويسمعون صوت تعليمه . كان ايمانهم قويًا كالجبال فلم يشكوا انهُ حيٌّ ومقتول مما وكان المقتول متكئًا على المائدة ولا يُفحص وكانوا يشربون دمه وهم مصدّقون انهُ دمه وهو حيٌّ وليس ثمَّ فاحص ولا منتقد . لم يسألوا مع انهُ كان محل للسؤال : كيف يا رب تدعوهُ جسدًا وهو خبز . ان الايمان لا يتنازل الى السؤال فانهُ يعرف ان يصدّق ولم يتعلَّم قط ان يفحص . فالرسل كانوا مجتهدين ان يصدقوا الابن لا ان يفحصوا او يسألوا كالجدورين . فالخبز الذي كسرهُ ودعاهُ جسدًا عرفوهُ جسدًا وهكذا اتخذوهُ كأن الدم يقطر منهُ حقًا . من كان يقدر ان يذبح الابن قدام ابيهِ لو لم يذبح هو ذاته بيدهِ قبل ان يتألَّم . فالرب هو هو البحر العظيم والذبيحة التامَّة ولهذا ذبح هو ذاته بيدهِ امام ابيهِ .

(١ هناك وجه ٨٠٣

كسر ووزّع جسدهُ بيده للاثني عشر فلو لم يرهُ يكسر لما كسروا هم . قام كالمحب لكي يكهّن نفسهُ بنفسهِ بين التلاميذ لكي يعطي انموذجاً للكهنة ليقتدوا بهِ . علّمهم ان يكسروا جسدهُ ويوزّعوهُ لاهل بيت الايمان »

وفي ميمرهِ على الصوم وجه ٥٨٦ مجلد ١ قال : « جمال الكنيسة هو صومها وزينتها هو السهر والصلوات تحفظ نفسها من الاكل لكي تاكل عريسها الشهي في نهاية الصوم . اين رأيتم عروساً تأكل عريسها ابدًا وعذراء يوضع خطيبها امامها على المائدة ؟ اشتهت واحبّت صامت فجاعت اقتربت فاكلت تلذّذت وسمنت دخلت وورثت كنز الآب . بصومها رأت عريسها يحارب الشيطان فصامت معهُ وعندما اضحى ذبيحة وزّعتهُ لابنائها »

وفي ميمرهِ على المناولة وجه ٢١٩ قال : « ذاك الذي يحترق منهُ النورانيون في العلى تراهُ في الخبز والخمر على المائدة . الملائكة لا يجسرون ان يحدقوا فيهِ نظرهم والانسان التراب الحقير يأكله بجراءة فلو امكن وجود الحسد في العُلى لكاد الكاروبيم ان يحسدوا البشر . » — ولهُ ميمر كامل عن تقدمة القداس لاساف الموتى يقول فيهِ وجه ٥٣٥ مجلد ١ : « هذا هو ايمان الكنيسة انها تعتقد ان تعمل الخبز والخمر جسدًا ودمًا فتكسر الخبز ولا تعرفه الّا جسدًا وتمزج الخمر وهي متأكدة ان في اثنائها دمًا . » ثم بعد ان اثبت ان قربان الخبز في العهد القديم كان مكرّمًا اكثر من سائر القرابين قال : « فان كان وهو خبز اكرم من سائر القرابين فاي قربان اعظم منهُ الآن وهو جسد ؟ ان الكنيسة لم تأخذ المثل من القدماء حتى تكسر اليوم خبز الاسرار بل رأت في العلّية ربها يوزّع جسدهُ فتعلّمت ان تصنع كل يوم كما رسم لها وها هي تتحفّظ عليهِ وتحتفل بهِ فانهُ ذبيحة عظيمة يكمل بها الاحياء والاموات . » — ثم يوبّخ الشعب على انهم يهملون القداس عن اموتاهم ويكتفون بالبكاء عليهم لا سيما النساء فقال : « هنا كلامي الى النساء ان كنّ يسمعنَ لي باذن النفس انهنَّ يتجولنَ بين القبور ليكينَ ويظهرنَ محبتهنَّ لاهواتهنَّ بالولولة ويتركنَ الكنيسة وخدمتها . ايتها المؤمنة اطلبي حبيبك في هيكل القدس عند الله الذي بيدهِ جميع الارواح . . . عقلك قد ذهب ام ايمانكِ ناقص حتى تسوقكِ العادة الى هذه الامور التافهة ؟ فلو كانت فيكِ محبّة الله لفضّلتِ الصلوة على الولولة وصنعتِ ذكر اموتاكِ بالقرابين والصلوات . واما ان الاموات يستفيدون من الذبائح التي يقرّبها الاحياء فهو امر لا يحتاج الى سؤال

وان تجاسر احد ان يسأل ما هو بديهي فالتعليم الصحيح حاضر لاقناعه . يهوذا المكابي رئيس جيش الابرار تغطّى وقرّب ذبيحة عن الاموات »

ان يعقوب كثيرًا ما يتكلم عن الرسول بطرس ومناقبه وامتيازاته في ميامر شتى لكن على الخصوص في ثلاثة ميامر : الاول في اعترافه بان المسيح ابن الله واستحقاقه بذلك ان يصير صخرة الكنيسة . والثاني في قول المسيح له : اذهب وراني يا شيطان . والثالث في انكاره المسيح . فمن تصفّح كل ذلك لا يشكّ ان السروجي كان معتقدًا بكمال الاعتقاد ان بطرس هو رأس الكنيسة ومعلمها ونائب المسيح على الارض وانهُ لهُ ملء السلطان على بيت الله وانهُ معصوم من الغلط وقد صدق الاب بيجان اذ يقول في مقدمة كتابه انهُ لم يرَ كاتبًا بين القدماء افصحَ عن امتيازات بطرس كما افصح السروجي . واليك مثل على ذلك :

في الوجه ٤٧٦ المجلد ١ بعد ان قال بطرس : انت المسيح ابن الله الحيّ . اجابهُ المجد : « انت الصخرة التي اضعها في اساس البيت الكبير وعليك ابني البيعة التي اخترتها . ايمانك هو صخرة ولهذا انت صخرة وعليك ابني الكنيسة التي تجلّ عن الانقسامات . . نظم المسيح اثني عشر حجرًا في قصر النور وانتخب منها واحدًا ليرفع عليهِ البيت كلهُ فصوّر ورسم ونحت هذا الحجر العظيم وعمّق فوضعهُ بالبنيان الذي شادهُ » — وفي وجه ٤٨٥ لمّا قال شمعون للمسيح حاشاك ان تموت دعاهُ المسيح شيطانًا مع انهُ كان يحبهُ . وبّخ التلميذ الذي اضحى صخرة الكنيسة وكان قد اعطاه مفاتيح العلى والعمق . على انهُ لم يرَ موت المسيح لائقًا بهِ . فلماذا يدعوهُ شيطانًا وهو رأس التلاميذ ؟ فيجيب : « ان الشيطان حسد شمعون لانهُ ارتفع فانتهز الفرصة ليضع عيبًا في من كان قد انتُخب واضحى مزيّنًا بالايمان والمحاسن . سمع انهُ اخذ الطوبى من المخلص ووُضِعَ لهُ اسم فاخر ليصير صخرة اساس بيت الملكوت . رأى ان ربّهُ سلّمهُ مفاتيح الكنز كلهِ ليكون آمرًا على العلى والعمق بسلطة . رأى انهُ بالامس كان صيادًا واليوم اضحى ملكًا فحسد واحترق وضرب بكفيهِ وقرمر . سمع اللعين ان سوف تُهدم الجحيم وتُبنى كنيسة الابكار على التلميذ . تضايق الخبيث بما سمعهُ عن شمعون وقصد ان يبيد هذا الرسول فقال اذا صدمتُ الاساس الكبير فلا يتم البنيان كلهُ ان يرتجّ واذا زلّ التلميذ تزعزعت الكنيسة وان لم تتزعزع فالويل لنا . فاذا تزعزع هذا الذي صار

صخرة او اعوجّ ارتحى البنيان القائم عليهِ . لانصبنّ لشمعون فخًا يقع فيهِ فاذا وقع صيدت النسور المرافقة لهُ . هم اثنا عشر واذا ظفرتُ بارلهم انحاز رفاقهُ الى الظلام . فعند ما قال شمعون للمسيح حاشاك يا رب ان تموت عرف المسيح من اين اتى هذا الكلام . عرف ان الشيطان زرع هذا الفكر في التلميذ وليس الفكر منهُ وحالًا التفت اليهِ وسمّاهُ شيطانًا فسمّى المشورة الآتية من الشيطان شيطانًا اما الرسول فبقي على ما كان عليهِ عند الخلص . . . هرب الشيطان وراء يسوع وبقي التلميذ فان المسيح قال اذهب يا شيطان فذهبت من شمعون الافكار الدنيئة الآتية من الشيطان ولبث الصفا صخرة في البنيان »

وفي ميمرهِ على انكار بطرس يقول ان المسيح سمح بذلك ليجعل بطرس الاوّل في كل شيء حتى في التوبة والرجوع الى الله . قال : « كان من اللازم ان تتمأم الكنيسة من شمعون الباب الذي يجب ان يدخلهُ التائبون . لانهُ بدون اساس من يستطيع ان يبني بيتًا فكان من اللائق ان يكون بطرس الاوّل في كل شيء . بهذه الصخرة يحسن ان يقتدي كل انسان من اي طبقة كان من طبقات الكنيسة . انظر الى شمعون ورتّب نفسك على بنيانهِ كائنًا من كنتَ فان كنتَ صديقًا اقتدِ بايمانهِ وان كنتَ خاطئًا تشبّه بدموعهِ »

وفي الميمر على التوبة وجه ٥٣١ قال : « قبل ان يُخطئ بطرس أقيم رئيسًا على التلاميذ وبعدما انكر ردَّ لهُ (المسيح) بالتوبة مقامهُ لم ينزلهُ الى المقام الخامس او الثالث بل اقامهُ في الدرجة الاولى . قبل انكاره كان ربُّ البيت فلمّا نكر خرج ولانهُ تاب ادخلهُ وزاد لهُ ان يرعى اغنامه . ردَّ لهُ المفاتيح التي فقدها بانكارهِ وزاد لهُ الخراف والنعاج والكباش . ان ابن الله احبَّ اغنامهُ ومات لاجلها واعطاها لشمعون لانهُ كان واثقًا انهُ يحفظها » — وفي ميمرهِ عن الوزنات الخمس وجه ٥٣٣ قال : « شمعون الصفا قلع هياكل الوثنية ونصب الكنيسة وفي مكان الصخرة الاولى وضع نفسهُ اساسًا للكنيسة وبنى جدرانها الرسل رفاقهُ فقام البنيان والتى المسيح في رأس الزاوية فصار السقف . وضع في وسطها منارة الصليب فلا تحتاج ان تضيء لها الشمس . فتح فيها رحمًا روحانية تحبل بالاموات وتلد احياء للآب . بنى فيها مذبحًا ووضع فوقهُ وليمة الجسد والدم

كسر خبز الحياة ومزج الكؤوس وكأف المدعوين ووزّع المال الذي اعطاه ربّهُ وتاجر بهِ »

وفي ميسرهِ على التوبة وجه ٦٧١ قال: « هذا ما صنعتهُ حكمة ابن الله انهُ اقام وسيطاً بينهُ وبين كنيستهِ من كان قد اخطأ بالكران . . . ضع بنيانكَ على الاساس ان كنتَ عاقلاً لانهُ مَن يحمل ثقل البيت الّا شمعون ؟ ان لم تنتظم على هذه الصخرة حيطان سقفك فانت خارج عن البيت واين يطلبك رب البيت ؟ »

هذا ما قدرنا ان نلتقطهُ من محسنات هذا الكنز النفيس وعند الختام نرى انفسنا عاجزين عن اسداء الشكر الوافي لحضرة الاب بيجان على ما اولانا من الفضل بكتابهِ هذا وبجميع الكتب التي نشرها فليس لنا سوى ان ندعو لهُ بطول العمر وجزيل الثواب في الآخرة وهذا جلّ بغيتهِ وغاية عنائهِ القصوى

رحلتي الى الشوا

او من هرر الى اديس ابابا عن طريق التشرشر

للصيدلي القانوني عبدالله افندي ميخائيل رعد (تابع)

عن معسكر إدّين الخميس ١٧ ايار سنة ١٩٠٦

(المرحلة الثامنة) قمنا اليوم من معسكرنا في بوركا ظنّاً منا اننا ننزل في هرنا الّا ان قائد حملتنا والمكارين قد اتّفقوا على ان نضرب سرادقنا في إدّين فكانت مرحلتنا صغيرة . وما الداعي الّا ان بيننا وبين هرنا عتبة كبيرة متعبة شاءوا ان يبقوها الى الغد . اما طريق مرحلتنا اليوم فكان صعب المسلك به قليل من الصعود بادئ بدء لكنّ ثلاثة ارباعهِ كان هبوطاً صعباً قطعنا معظمهُ مشياً على الاقدام على اننا لم نشعر بالتعب لان الاشجار ذوات الظل الظليل والورد البرّي في غض ايام زهرهِ وكثيراً من النباتات الغريبة كانت تزين حافتي طريقنا . فكنّا تارةً ننظر الى جمال الطبيعة وشهوق الجبال وفخامة الاحراج وطوراً نتباحث ونتناظر في اية فصيلة هي فصيلة هذا او ذاك النبات الغريب حتى انتهى بنا المسير الى سهل متّسع خصب كلهُ مراعٍ